خـبرو (خا ـ بيـ ـ رو = Ḫa-b/pi-ru)
مُشـكـلة حقيقيـة أم مُفتعـلة

الدكتور فيصل عبد الله
جامعـة دمشـق

أصبح معروفا لدى الاوسـاط العلمية المهتمة بالدراسات المسماريـة ، محاولة تحريف اسم ملك إبـلا (تل مرديخ ، سـورية) المسمى « ابريوم E/ib-ri-um »(١) الذي أراد له « علماء » صهاينة أن يكون له علاقة لغويـة باسم « عابـر » التوراتي(٢). وبالرغم من أن اللجنة الدولية لعلماء المسماريات قد أبعدت كـل احتمال لقلب المقطـع الصوتي (ا بـ) الى (عبـ) ، وامتناع المتخصصين في أوروبـة وأميركة عـن الدخول في مناقشة علمية للموضوع لان المقارنـة لا تستند الـى نص(٣) أو شـاهد ، بالرغـم من هذا لا تزال الاوساط الصهيونية تشيع ــ على الاقل على مستوى الرأي العام غـير المتخصص ــ ان ابريوم ليس الا عابر التوراتي ، وبالتالي فان أحد أجداد العبريين قـد حكم إبلا في نهاية الالف الثالث ق.م ..! . ونعلم أن ذكر عابر يرد بمفرده كأحد أبنـاء سام،وليس بالضرورة أن يكون جداً لقوم دون آخرين ممن (يفترض) أنهم عاشوا في تلك الحقب . ! ولن نقول هنا أكثر من أن التوراة هي بذاتها تراث آرامي ــ عربي وان أفراد المجموعتين قد حملوا منذ أقـدم العصور حتـى الآن أسماء توراتيـة . وليس هنـاك ما يضيرنا ، كعرب ، اذا وجدت يوما علاقة ما بين روايـات التوراة وبين الواقـع ، لان الحصيلة تقع في دائرة التراث الحضاري لكل من عاش على أرض الوطن العربي مهمـا كانت ديانته ، ولن يستطيع المستوطنون الاوربيون من معتنقي اليهودية الذين احتلـوا فلسطين عنوة أن يجدوا أي ارتباط بين عقليتهم وثقافتهم ونمط تفكيرهـم ، وبين تراث المنطقة القديم الذي ما يزال يعيش ، فقط ، في عقول وأذهان من لم ينقطعوا عن العيش فيها أبدا منذ آلاف السنين .

لم تكن المشكلة المفتعلة السابقة حول اسم ابريوم الاولى من نوعها ، ولكنها الاولى التي وصلت الى الرأيالعام العربي بسبب بدء اهتمامنا ــ وبصورة محدودة ــ بالتراث المسماري الذي ظهر في إبلا منذ وقت قريب . واذا تصفحنا الدراسات التي نشرت منذ اكتشاف أول نص مسماري في منتصف القرن الماضي حتى اليوم (بلغ عدد الرقم نحـو نصف مليون قطعة) فسنجد الكثير من أمثال تلك المشكلة المفتعلة (٤) .

تتناول هذه الدراسة احدى المشكلات المتعلقة بالاسم خبرو (أو خابيرو أو خبيرو)، وجذورها تعود الى بدايات هذا القرن عقب نشر دراسات لمحفوظات تل العمارنة في مصر ثم ماري وأوجاريت ... الخ هذه المحفوظات التي ربما تزيد في أهميتها على محفوظات إبلا، لان مجال التفسير والمقارنة بينهـا وبين معطيات سفر التكوين واســع، بسبب تقاربها مع الزمن المقدر لاحـداث وروايات التوراة. وقـد وجد دعاة الصهيونية مـن المؤرخين منابعلا تنضب للمقانة والتفسير لخدمة الهدف الاستيطاني في المنطقة العربية.

فما مشكلة خبرو وخبيرو ...؟

١ ـ **خبيرو**: ha-bi-ru (٥) اسم لمجموعة من الناس ظهر لاول مرة نحـو عام ١٨٩٠ عند محاولة فك رموز محفوظات تل العمارنة في وسط وادي النيل، ومنذ ذلك التاريخ تتابعت الدراســات وعالجت «المشــكلة» تحت اســمها الاكادي (habiru) خبيرو وتحت اسمها السومري (Lu-SA. GAZ لو. سا. غز) وبين عامي ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ كانت جميع نتائج الدراسات قد جمعت في مؤلفين شاملين: الاول بالفرنســية لمؤلفه جان بوتـــيرو(٦) ويحمل عنــوان **مشكلة خبيرو**، والثاني بالانكليزيـــة لمؤلفه م.غرينبرغ(٧) ويحمل العنوان نفســه. ونجد في طبعة هــذا الاخـيرة (١٩٦١) ثبتا بالدراسات في الموضوع (ص٩٧).

ومن عام ١٩٦١ وحتى وقتنا الحاضر ظهرت عشرات الدراسات(٨)، ولكنها لـم تحمل جديدا من حيث النتائج، وهي التـي سنتعرض لها في هذه الدراسة، أهمهـا كتاب اوزفالد لوريتس(٩) (بالالمانية) بعنوان **خبيرو** أيضا، الذي ظهر عام ١٩٨٤ وتضمن عرضا اجتماعيا تاريخيا وثبتا بجميع الدراسات السابقة. يضـاف الـى ما تقدم كتب وملخصات عن المشكلة في معاجم الاعلام واللغة الاكادية(١٠).

٢ ـ **الوثائق: خابيرو/ساغز**. من المتعذر علينا ايراد الاسم حيثمـا ورد في الوثائق المسمارية التي تبلغ المئات ونكتفي بذكر مثال من كل مجموعة مماثلة(١١).

ـ أواخر الالف الثالث ق.م (سلالة اور ٣).
LU - Sa. gaz = awil ha - bi - ru
ـ أوائل الالف الثاني (القرن ١٩) اشوري قديم.
assumi a - wi - bi ha - bi (4) - ri
ـ أوائل الالف الثاني (القرن ١٨) ماري ـ بابلي قديم.
(qadum ...) sa - bi - im ha - bi - ri
ـ القرن ١٨ ـ ١٧ محفوظات سوزا ـ بابلي قديم.
LU. MES ..... ha - bi - ru ,

ــ الالاخ ــ	بابلي قديم .	
ــ نوزي ١٥ ــ ١٤	بابلي متوسط	
ــ بوغازكوي ،		وردت في جميع هذه المحفوظات بالمقطعية الاكادية المدونة اعلاه .
ــ أوجاريت ١٤ ــ ١٣		
ــ تل العمارنة ١٣ ــ ١٢ ، جبيل والساحل السوري اللبناني ــ الفلسطيني		
ــ نيبور ،		
ــ بابل ،		

ــ وردت في النصوص المصرية في طيبة Thébes وغيرها هكذا C P R بدءا من القرن الخامس عشر وحتى القرن الثاني عشر ق.م .

٣ ــ الاسم : يكتب الاسم بالمقطعية المسمارية(١٢) ويبدأ دائما بالمقطع (خا/) ويمكن لهذا المقطع ان يقرأ (عا) في اللهجات الاكادية الغربية ، ولكن هذا لا ينطبق على جميع الكلمات أي ان تقلب الـ (غ) الى (ع) بصورة تلقائية ، ولذا فان امكانية قلبه هنا ليست اكيدة ولا شاهد على كيفيةنطقها من قبل الناطقين بلهجات اكادية غربية ، اذ من السهولة ان نقول ان استبدال (خ) بـ (ع) وارد في كثير من الكلمات والعكس صحيح.

(بي) هو المقطع الثاني للكلمة ويمكن ان ينقلب الى باء مشددة بالمصرية القديمة (پي) . ونلاحظ غياب قيمة المقطع (پي) في ماري والالاخ وأوجاريت ونوزي .

(رو) هو المقطع الثالث للكلمة ، ولا توجد مشكلة بالنسبة لكتابته او نطقه حيثما ورد في النصوص .

٤ ــ المعنى : لدى مراجعة الاسم ((**خبيرو**)) في المعاجم الرئيسة فاننا لن نحصل على معنى محدد يتفق عليه الجميع . والسبب هو غياب الشواهد التي تؤيد كل ترجمة مقترحة . وأهم الترجمات بنظرنا هي التي اقترحها بوتيرو فقد وجدت في النصوص الاكادية صيغة ibbi'ar إبيأر ، وتعني الهارب أو الذي هرب ، وهي تقابل المعنى السومري SA. GAZ أي بالاكادية habru = خبرو وتعني بالفرنسية Pillards أي غزاة ، رجال الغزو . ونعلم أن التعبير (سا . غز) يستعمل للدلالة على رجال من هذا النوع ويقابله بالاكادية habbatu أي القتلة . ولكن هذا المعنى أكثر شدة لتوصيف تلك الجماعة ، فيبقى المعنى خبرو = بدو ، غزاة ، نهابون ، أكثر انسجاما مع النصوص التي وردت فيها الكلمة(١٣) . بقي ان نعلم ان هذا الاسم قد اطلقه على تلك الجماعة الآخرون ، سواء أكانوا خصوما أم حلفاء ولذا فانه لا يخلو من غرض سلبي(١٤) . ان المقصود بالتعبير هو دائما اشخاص او مجموعة من الناس أو عصبة .

وعند ذكر الهتهم في نصوص بوغازكوي الحثية « آلهة الخبيرو » يكون المقصــود الآلهة التي يعبدها جماعة خبيرو ، وليست ذات جنسية منسوبة لهم . فآلهتهــم هي ذات الآلهة التي عبدها البدو ، والحضر المعاصرون(١٥) . ولم ترد في النصوص التي ظهرت حتى الان اسماء فردية تحمل نسبتهم ، باستثناء وحيد في محفوظات نوزي .

ان النصوص لا تحدد وطنا أو أرضا او بلادا باسم بلاد الخبيرو . ولذا فان تلك المجموعة لم تشكل وحدة سياسية . ان ظهورهم كجماعات بدوية متنقلة هامشية ، وعدم وجود دليل على ادعاء مذهبي او عرقي من خلال النصوص ، يجعــل انتماءهم البشري للمجتمع الرافدي الاموري(١٦) . ونستنتج من النصوص أن الخبيرو لا يظهرون الا بحركة دائمة ، يشاركون في أعمال واستطلاعات عسكرية لدى الملــوك أو لحسابهم الخاص ، وأمثلة ذلك كثيرة في وثائق تل العمارنة . وبقيت صورتهم ، على ممر العصور، كجماعات متجولة ومتطوعة في معظم مناطق الشرق القديم ، لم يستقررا في عصر مــن العصور وظلت الوثائق السومرية بشكل خاص تحتفظ لهم باسم ساغز = العصابة، وهو المعنى الذي يتفق عليه جميع المتخصصين وجميع المعاجم ، والمقصــود به **نمط حياة لا نسبا عرقيا أو قبليا أو اعتبارا سياسيا ، انه حالة اجتماعية .**

ولم تذكر النصوص أية اشارة بجانب اسمهم يمكن ان تدل على ميزة ثقافية أو اجتماعية ، بل ذكرتهم الى جانب جماعات اخرى تحمل أسماء اموريــة مثل ســوتو Sutu الذين ورد ذكرهم في نصوص ماري، وكانوا يشاركونهم في نمط حياتهم . ولــم يكن لاي من هؤلاء شيخ قبيلة أو سلطة أو دلالة عرقية . وهنالك من عناصر الخبيرو من عاشوا في مناطق نفوذ ماري بين خانا (منطقة قريبة مــن ماري) والفرات الاعلى وحلب / يمحاض(١٧) .

٥ ـ مناقشة واستنتاجات : حاول بعض المتخصصين بالدراسات الآشورية من اليهود (وبعضهم يدرس في جامعات اسرائيل) ان يربط كلمة خبيرو بالجذر أو المصدر المشترك لجميع لغات الوطن العربي القديــم (الساميات) عبر ، أي مــر ، وعبر أو عبّر . وجميع هذه المحاولات سقطت منذ الخمسينــات ولا نجد اشــارة من هــذا القبيل في المعاجم الاكادية الحديثة . ويتفق كبار علماء الاكاديات ، مثل ب. لاندسبرغر وغيره ، ان المطابقة بين خبيرو والعبريين ليست الا شبحا جناسيا ، كما هي الحــال في محاولتهــم تعريف ابريــوم بعابر التوراتي(١٨) . ولا توجــد أية معطيات واقعيــة وموضوعية ، ومن الافضل رفض ذلك التعريف وقبول الكلمة السومرية المعاصرة لتلك الجماعة وهي **ساغز** ، ومقابلهــا الاكادي **خبرو** ، أي عصابــة ، نهاب ، كما يستنتج بوتيرو وغيره .

ان الهدف من ربط خبيرو بالجذر « عبر » واضح لكل ذي عين ، الا وهو تقديم شاهد رافدي ومصري على وجود العبريين الذي لا نعرف عنه الا معلومات التوراة التي تحتاج هي نفسها الى شواهد اخرى . فالمحاولة تهدف الى ابراز **دور ما** للعبريين وتجذيره في تاريخ الرافدين ومصر القديم ، ومن حسن الحظ ان المحاولة لم تجد أمامها قبولا في الاوساط العلمية الاوربية والامريكية ، الا ان البعض منا تبناها مع الاسف .

٦ ـ عرض تاريخي سياسي(١٩) :

آ ـ **البدو** : يامينا والخبيرو وغيرهم في سورية وشمال الرافدين

تشغل البادية ، وليس الصحراء ، قسما كبيرا من المنطقة المذكورة ، ويشكل وادي الفرات الاخضر الشريط الفاصل بين البادية في الجنوب وبلاد الرافدين العليا . ويعيش البدو في الشرائط الخضراء المحيطة بالمناطق الزراعية المحددة بخط مطري سنوي لا يقل عن ١٠٠ مم سنويا . وتعتبر مدينة تدمر (**Tadmir** بالاكادية) **المثال الاقدم** لمواطن توضع البدو . وبصورة عامة ، تعتبر الجماعات البشرية التي كانت وما زالت تعيش في تلك المناطق من انصاف البدو . أما الحياة البدوية الكاملة فمرتبطة باستعمال واسطة النقل التقليدية وهي الجمل ، ولما كان هذا الحيوان غير معروف قبل القرن الثاني عشر ق.م فان حركة البدو قبل هذا التاريخ كانت محدودة ، لانهم كانوا مرغمين على البقاء في مناطق لا تبعد كثيرا عن مناطق الاستقرار الزراعي ، ويعودون من أجل شراء المواد الغذائية أو مبادلتها ، أو العمل في أزمنة القحط . ان واقع هؤلاء ، يفترض احتكاكا دائما بالمستقرين في مدن سورية والرافدين ، ولهذا كان قسم كبير يميل نهائيا الى الاستقرار في تلك المناطق .

لقد دونت لنا نصوص سورية والرافدين المسمارية أسماء معظم القبائل والعشائر البدوية المعنية ، فمنهم المجموعات البدوية الاصل الذين لقبوا بالاموريين **Ammuru** في النصوص المسمارية ، أي القادمين من جهة الغرب أي من البادية السورية حاليا . وبعد سقوط سلالة اور الثالثة في نهاية الالف الثالثة ق.م ترك هؤلاء اثارهم المادية في وادي الفرات وأعالي الجزيرة . وعندما تغيب النصوص ـ لتظهر من جديد في بداية الالف الثانية ـ نرى هؤلاء الاموريين يؤسسون سلالات حاكمة في مدن الرافدين ، ونجد وثائق اقدمها في ماري . ولكن بقي الكثيرون منهم يعيشون حياة البداوة . وعندما اصطدم هؤلاء مع المستقرين من بدو الامس الاموريين ، ظهورا تحت اسماء اخرى معظمها القاب أو تسميات جغرافية وأقدم مثل عليهم هم مارو يامين أو يامينا

Maru-yamina أو ابناء الجنوب (جنوب الفرات ، ضفته اليمنى) وقد سكن هؤلاء في تلك المناطق نظرا لقربها من البادية وسهولة الاتصال بمدن الجزيرة والفرات ، ولكن هذا لم يمنعهم أيضا من الانتشار في حران ومناطق حلب وقطنة (حمص) ، وعرفت بعص المناطق المحيطة بالمدن الاخيرة ببلاد الاموريين .

وشكل اليامينيون (بنو يامين كما تلفظ بالاكادية) ، رابطة قوية لعدد من القبائل أعطت أربع منها أسماء لمواقع مدن مثل سيبار ، أمنانو ، سيبار ـ يخرورو ، ونجد أن مؤسس سلالة في اوروك يدعي سين ـ كاشيد ينحدر من قبيلة امنانو . وكان يرأس يامينا شيخ ونادرا ما صار ملكا ، ولهم منصب قائد جيش زمن الحرب . ولم تكن جل علاقاتهم عدوانية مع الحضر ، وخاصة في زمن زمري ليم ملك ماري حيث عرفت تلك العلاقة هدوءا نسبيا ، ولكنها كانت متوترة أحيانا اخرى ويروي زمري ليم أنه أوقع الهزيمة بهم سبع مرات في وادي الخابور .

السوتيون (السوتو) ، وظهروا الى جانب يامينا وكانوا يسيطرون على البادية ولهم صلات ورحلات الى بابل بالذات . ووفق مصادر ماري كانوا بدوا أشداء قساة سيطروا على جميع البوادي حتى بابل ولم يكونوا يتوانون ، كغيرهم ، عن مداهمة الحضر وقت الشدائد . ويعتقد أنهم كانوا يتخذون من موقع متوسط بين دمشق وتدمر مقرا رئيسيا لمهاجمة القبائل . وقد ذكر لنا يسمخ/ع ـ أدد أن ألفين من السوتو قد هاجموا قطنة ، ونادرا ما عكست النصوص علاقة سليمة معهم .

هناك قبائل أخرى مثل **رابــو** ويعتقد أنهم من فصائل يامينا ، عاشت في مناطق حلب / يمحاض ووصفت بأنها أخوة يامينا . وهناك **سيمأل**=الشمال (شمالي الفرات) وهي مجموعة تقابل يامينا (أبناء الجنوب) ، ولا نعلم شيئا عن أسماء قبائل أخرى مثل **نومخا بل / بعل** ، الذين قطنوا المناطق العليا ، في حين أن لدينا الكثير من المعلومات عن **الخانيين ـ** من خلال نصوص ماري ـ الذين أقاموا قرب ترقا (الرقة) وأعالي الخابور ، وكانوا أنصاف بدو وجنودا محاربين محترفين خدموا في جيش ملك ماري يخدون ليم في نهاية القرن التاسع عشر ق.م .

الخبيرو : وهم المجموعة الاخيرة من هؤلاء البدو ، وكانوا جماعات تؤجر خدمتها للملوك ، بخاصة في أعالي الفرات وغربه وعلى حوض الخابور ، ونسجل ظهورهم في مناطق حلب للمرة الاولى في عهد الملك الحلبي اركابتوم . وبالرغم من عدم وضوح معنى الكلمة كما بيّنا فقد أظهرتهم نصوص ماري كجماعات بين البدو الغربيين الاموريين .
وقد اعتبر بعض السوتو وبعض عشائر ياموت بل / بعل yamutbal من الخبيرو .

ويبدو في النتيجة انه لا يجوز اعتبارهم كوحدة قبلية كبيرة مثل يامينا مثلا ، ان أهم رواية عن الخبيرو في نصوص أكادية هي رواية ادريمي في كتابات هامة وجدت في الالاخ (تل عطشانة) يروي فيها كيف صعد الى العرش . اذ يبدو أن أباه كان ملك حلب واسه إليم اليما ilim-ilimma ومن المعتقد أن ثورة قامت ضده فأجبرت ادريمي الابن واخاه على الهرب واللجوء الى ايمار Emar (مسكنة اليوم) حيث تعيش عشيرة أمه ، وتوغل في البادية انطلاقا من ايمار حيث التقى ببدو السوتو ، ويصل حسب قوله الى كنعان على الشاطىء ، ويقول انه عاش سبع سنين في المنفى مع الخبيرو ومن ثم عاد واسترجع عرش ألالاخ ... الخ .

ب ـ الاموريون (الكنعانيون) في فلسطين والرحلة الابراهيمية :

سميت القرون الاولى من الالف الثانية ق.م بالعصر البابلي القديم . وتميل أكثرية المتخصصين اليوم الى تسميتها بعصر السلالات الامورية لانها هي التي حكمت في كل من سورية والعراق . الا أن السلالة البابلية هي أول من عرفنا من النصوص المسمارية ، ومعظم معارفنا جاءت من الاكتشافات الاخيرة منذ منتصف هذا القرن حتى اليوم ، مثل سلالة ماري وحلب وقطنة وألالاخ وأوجاريت .. الخ . وعرفنا الاموريين بأسماء العواصم التي أسسوا فيها سلالاتهم ، فهم بابليون في بابل وماريون في ماري وحلبيون في حلب وآشوريون في آشور ... الخ .

أما في فلسطين التي يرد ذكر مدينة هامة فيها في نصوص ماري منذ القرن ١٨ وهي حاصور Hasur التي قصدها التجار من ماري مرورا بايمار وحلب ، فقد عرفت هي الاخرى حضارة مزدهرة منذ ذلك الوقت المبكر . ولئن كانت النصوص المكتوبة (المسمارية) لم تظهر فيها بعد (أي النصوص التي قد تغطي تلك الفترة) الا أنها بحكم ارتباطها تاريخيا وجغرافيا بسورية عرفت علاقات وطيدة معها ، كما عرفت علاقات خارجية وثيقة مع مصر منذ ذلك الوقت المبكر ، يدل على ذلك الهدايا والتقدمات المرسلة من أمراء وملوك فلسطين الى فراعنة مصر .

ويشهد الفخار المزين (في الفترة الواقعة بين ١٨٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م) الذي وجد على نطاق واسع ، والاسلحة البرونزية والجواهر التي وجدت في حاصور ومجدو وجريشو وتل الدوير وغيرها ... على فترة الازدهار والاستقرار التي نوهنا عنها ، والتي عمت سورية والعراق في عصر السلالات الامورية . ويعتقد ـ وليس من دليل سوى رواية التوراة المتأخرة المكتوبة في غضون القرن السابع أو السادس ق.م ـ أن ابراهيم وعائلته قد قاموا خلال فترة الازدهار تلك برحلة وصلوا فيها الى فلسطين

قادمين من حران في شمال سورية، ذلك الترحال الذي يمكن أن يحدث في اطار ما سبق وتحدثنا عنه فيما يتعلق بوسائط النقل . . ولكن الترحال الابراهيمي المذكور في التوراة لم يحدث أية ضجة ولم يترك أثرا في الكتابات المسمارية ، ولم تدل عليه اللقى الاثرية التي اكتشفت حتى الآن ، كما لم يتمتع ابراهيم وعائلته بأي سلطان أو نفوذ سياسي . وعلى الرغم من كل هذا يمكن قبول فرضية حدوث تلك الرحلة في اطار تحركات البدو الدائمة ، ولربما كانت نهاية المطاف والاستقرار بالنسبة لهذه المجموعة في فلسطين التي كانت تشهد فترة انتعاش على يد الكنعانيين .

لقد خيل لبعض علماء الاكاديات ــ من المذهب اليهودي بخاصة ــ انهم وجدوا الدليل الكتابي غير التوراتي على تلك الرحلة في نصوص تل العمارنة ، ومن ثم ماري وأوجاريت وألالاخ وبوغاز كوي ونوزي ، أو انهم وجدوا على الاقل ذكرا للعبريين وانهم ليسوا الا جماعة خبيرو أو عبيرو بالمصرية . ان هذا الادعاء لم يجد له سندا علميا كما بيّنا ، بالرغم من وجود مجانسة لغوية ظاهرة ، يمكن أن نجد مثلها في كثير من اللغات حتى غير السامية أو العربية ، ونجد أيضا أن خبيرو تدل على مجموعة أو عصابات معروفة ، تلقى بعض الاهتمام من السلطات المستقرة في المدن . في حين ان جماعة ابراهيم ــ ان كانت على صلة بالعبريين التوراتيين ــ كانت جماعة صغيرة اقتصرت على ابراهيم وعائلته ولهذا فانها لم تترك أثرا رغم أن التوراة تعتبره جد العبريين ، كما نفهم من اشارة القرآن الكريم انه جد العرب أيضا .

ج ـ فلسطين ومصر وتسرب الاموريين :

اهتمت الادارة المصرية في ذلك الزمن بسكان فلسطين الكنعانيين (الاموريين) والآراميين لانهم كانوا يشكلون خطرا وقوة اقتصادية فعالة ، فاذا عرفنا العدد الكبير للمدن الفلسطينية المذكورة في نصوص تل العمارنة ، وعرفنا أن محتوى هذه النصوص ليس الا رسائل سياسية ودبلوماسية من أمراء فلسطين الى فراعنة مصر ، تارة للاستجداء وأخرى لطلب النجدة ، أو بمناسبة زواج أو تبادل موفدين نستطيع بعدها أن نفهم أن خبيرو لم يكن الا اسما من مئات الاسماء والالقاب المتداولة ويمكن لنا أيضا أن نفهم أهمية التنافس بين مصر وقوى الرافدين لاستمالة أو تحييد أمراء فلسطين . ونعلم من خلال «نصوص اللعن*» للاسرة الثانية عشرة المصرية ، كم كان الفرعون يتوق الى الخلاص من تبعيته الاقتصادية « للوادي الاخضر الغني » وكان يقصد بهذا الوادي

* نصوص ملكية على أوان فخارية ، تتضمن أدعية ولعنات ضد الخصوم ، تحطم في حفل ديني التماسا للغلبة عليهم .

الدلتا ، وسكانه ليسوا الا مهاجرين تسربوا من فلسطين الى وادي النيل الاعلى وأقاموا ملكا لهم اعتبارا من عام ١٧٢٠ ، وبعد بضع سنين يتسرب عدد آخر الى الدلتا الشرقية، وينجح في النهاية باحتلال وادي النيل برمته . هذا العصر يسمى عصر الهكسوس ، وهو الصيغة الاغريقية للتعبير المصري خيكو ـ كهوسويت Hikau-Khoswet أو زعماء البلاد الاجنبية ، الذي دام نحو مئة وثمانين سنة وانتهى بطردهم من مصر نحو ١٥٥٠ ق.م .

ان التقاليد المحلية الشفوية المصرية نقلت الينا بواسطة الكاتب مانيتون (عاش في القرن الثالث ق.م) صورة مبالغ فيها عن تلك العصور . حيث كانت مصر مسرحا لعبث « البرابرة » كما يقول . ولكن هذا الغزو الاموري (أو آمو Amu في النصوص المصرية) قد أخرج مصر من عزلتها ودفعها الى شن حملات عسكرية على فلسطين،وهذا ما أدى الى صدامات مع الحوريين والحثيين .. الخ .

نخلص مما تقدم الى أن المصادر الرافدية والمصرية لم تمدنا حتى الآن بأية اشارة تتطابق مع رواية التوراة عن رحلة ابراهيم ، أو عن وجود العبريين ككيان هام ، واذا ما اكتشفت يوما ما مثل تلك الاشارة ، فلن تكون بمستوى الاهمية التي عليها سكان فلسطين الكنعانيون ـ الاموريون ، لان هؤلاء هم الذين يمثلون حضارة فلسطين في العصور القديمة أو خلال ثلاثة آلاف من السنين التي سبقت الميلاد ، وهم لم ينقطعوا عنها أو عن اغنائها حتى يومنا هذا ، على الرغم من الاستيطان الاوروبي اليهودي .

ويبقى ابراهيم وأنساله ،سواء التوراتي أو القرآني ، احدى الشخصيات الدينية الورعة التي تشكل تراثا أدبيا لا يجب اقحامه في قضايا تاريخية علمية ، ان قصص التوراة ليست الا جزءا من تراث من عاشوا ويعيشون في سورية وفلسطين منذ ذلك الزمن ، والعرب سكان المنطقة هم وحدهم ورثة وأحفاد الامس .

الحواشـــــــي

(١) اذا علمنا أن عدد المختصين بالدراسات المسمارية الاكادية في العالم قد يصل الى حدود المائتين ، وأن نسبة الصهاينة بينهم لا تقل عن ٢٠٪ ، يعمل أكثر من نصفهم في جامعات اسرائيل .

واذا علمنا أن عدد المختصين العرب في هذا الميدان لا يتجـاوز أصابع اليديـن ، وان مشاركتهـم في المؤتمرات الدولية وحلقات البحث تكاد تكون معدودة(شارك في مؤتمر الاشوريات الدولي الذي عقـد في باريس في تموز ١٩٨٦ ومحوره « تاريخ المرأة في الشرق القديم » أحد عشر متخصصا يعملون في الجامعـات الاسرائيلية ، في حـين غاب العرب عـن هذا المؤتمـروغيره) ، فقد يساعدنا ذلك على فهم الضجيج واللغو الذي يثـار عقب كل كشف أثـري أو كتابي قديم .فاللعب على الكلمات وتزويرها ، وطمس الحقائق أو تحريفها لاغراض عدوانيـة استيطانية أمر منتظـر فيواقع صراعنا مع اسرائيل . وما دام العرب بعيدين عن المشاركة في الابحاث الدولية ، فالميدان مفتوح لدعاةالصهيونية ومؤيديهم لتفسير التاريخ حسب أهوائهم وأطماعهم ، واصطناع التفسيرات اللغويـة وتزويـرالاخبار وتاليف الروايات وقلبها الى حقائق مزعومـة غايتها تثبيت أقدام الصهيونية في فلسطين واعطائهـابعدا تاريخيا مع كل كشف أثري جديد .

ويحز في النفس أن بعضهذه النظريات والتفسيرات المغرضة تلقى قبولا من بعضنا فيتبناها غير مدرك خطورتها في حربنا الثقافية مع الصهيونية ، والسببفي ذلك واضح ... وهو عجزهم عن كشف الزيف ، بحكم عدم تخصصهم ، وعـــدم قدرتهم علـى قراءةالنصوص الاصلية ...

ونشير في هذا الصدد لمؤلفات ودراسات ابراهامالامات الاستاذ في الجامعة العبرية ، وفيها مقارنات لا حصر لها بين معطيات محفوظات ماري والالاخ . وهويصف محفوظات ماريبأنها «أساس الابحاث التوراتية، وخاصة أصل العبريين ومراحل تكون التاريخ الاســرائيلي » . انظر
Mari and Bible, **Ensyclopaedia Judica,**1961, p. 1 .

وأستاذ آخر اسمه نداف نعمان يهتم بمقارنات خاصة بين أدد ، اله حلب ، ويهوه . هذا اضافة الى ما صدر في النصف الاخير من هذا القرن وبخاصــةفي أمريكا ، منروايات خيالية تناولت أهم الاكتشافات الاثرية فيالوطن العربي وقدمتها للقارىء العادي بقالبروائي ، وغايتها تسريب الافكار الصهيونية بأن التراث المسماري القديم جزء من التراث اليهودي ، منهــارواية الاكتشاف للاميركي ستيف شاغان .
Steve Shagan, **The Discovery,** New York, 1984 .

وتحكي عن اكتشاف مدينة ابلا في سورية وانها« ... مملكة عبرية ، وما على السوريين الا أن يقبلوا بأن يكونوا أحفاد العبريين أو ... » ولا ينسى المؤلفالصهيوني أن يبث سمومه عند وصفه سورية وشعبها بأنه « يستعد لتدمير حضارة اسرائيل » . انظر :

(٢) انظـر :

Geovanni Pettinato, **Ebla nouvi orizzonti della storia,** Milano 1986, pp. 122 - 128 s.

الذي يقرأ الاسم ابريوم (Ibrium) وهي القراءة التي اعتمدتها اللجنة الدولية لقراءة نصوص ابلا ، في حين كان يقرؤه ابروم (Ebrum) ، قبل هذا التاريخ وخاصة في مقالـه

RIA. V=Reallexikon der Assyriologie V , p. 12 .

حيث يقول « إن نفوذ إبلا تحت حكم (أبروم) شمل سورية وفلسطين ... وان هناك نص يدفعـه للاعتقاد بأن أكاد وابروم من القبيلة نفسها »ونلاحظ أن قراءة الاسم (ابروم) محاولة غير مباشرة لتقريبه من عبر وعابر . انظر سفر التكوين(١٠ ، ٢٠) حيث يكتب اسـم عابر بالمـد سـواء بالعبريـة أو العربيـة .

(٣) انظـر :

Oswald Loretz, **Habiru - Hebraer,** Berlin - New York 1984, p. 239.

يقول : « لا يمكن المقارنة بين الاسم الملكـي ابريوم والاسم التوراتي عابر ، ولا بين كلمتي عبري، وعبر » ، وانظر مقاله المترجم : هل للعبرانيين وجود في ابلا ، تعريب قاسـم طوير ، مجلـة دراسات تاريخية ، ٢٧/٢٧ ، ١٩٨٧ ص ١٢٣ وما بعد .

(٤) لقد كتب الكثير حول مسالة النبوءة في ماري وحلب وأوجاريت ، وحاولت معظـم الدراســات الصهيونية ابراز العلاقة بين التوراة والادب المسماري الاكادي أو السومري بهدف الادعاء بان بلادنا ليست الا مسرحا « لحضارة العبريين » وتوراتهم . انظر مالامات في الموسوعة اليهودية .

(٥) من أجل موجز لغوي وتاريخي عن المشكلة ، انظر : ج بوتيرو ، وانظر كلمة خابيرو Habiru في:

R L A. IV , Berlin - New York 1972 - 1975 , p. 14 .
C A D , The Assyrian Dictionary, H. v. 6, p. 84 .

(٦) J. Bottéro, « Le Probléme des Habiru à la IVme » **RAI,** Paris 1954.
H. Greenberg, « The Hab/Piru » **AOS** 39 , New Haven 1955 .

(٨) من أهمها :

a - Borger, R. , « Das Problem der ' 'apiru » (« Habiru ») in : **Z. D. P. V.** 74, 1958, 121 - 32 .

b - W. F. Albright, « Abram the Hebrew » **(BASOR)** , p. 163 , 1961, 36 S .

ولا يخفى أن أولبرايت يمثـل وجهة النظـر الصهيونية .

c - M. Astour , « Les Etrangers à Ugarit et le statut Juridique des Habiru », **RA** 53 , 1959 . 70 ss .

d - J- R. Kupper, « Sutéens et Habiru»(**RA** 55 , 1961) , 197 ss.
e - M. B. Rowton, « The Topological factor in the Hapiru problem » (**AS** 16 , 1965) 375 ss.

f - R. de Vaux .« Le Problème des Hapiru aprés quinze années » (**JENES** 27 , 1968 , 221 s.

ومن أجل رموز الدوريات الواردة أعلاه وفي كل مكان من هذه الدراسة ، انظر :
CAH II 1 = The Cambridge Ancient History II / 1 , p. 716 .

(٩) انظر رقم ٣
(١٠) يضاف الى **RLA , CAD** ، قاموس فون‌زودن الاكادي .
W. Von Soden, Akkadisches Handwor terbuch = **AHW** .

(١١) انظر : بوتيرو RLA المصدر (٦) ، حيث‌يورد جميع أرقام النصوص المسمارية .

(١٢) انظر المصدر السابق . انظر ، AHW , CAD ، ويمكن ايجاز ما ورد فيهما ، حول الاسم خبيرو كما يلي (habiru) hapiru = (فئة اجتماعية) من العصر الاشوري والبابلي القديمين ، ربما كانت الكلمة مستمدة مـن‌لهجة سامية غربية . ذكرت habiri في النصوص الحثية ، جمعها habiratu خبيراتـو .ودنت في نـوزي بالمقطعية المسمارية الاكادية السابقة وكذلك بالرمزية المسمارية السومرية SA. GAZ (Lú) مع صيغ أخرى . انظر حولها كلمـة hapiraya خبيريا .

١ ـ تكتب LU. SA. GAZ بالرمزية السومريةفي النصوص البابلية القديمـة والمتوسطة (آلالاخ ، وبوغازكوي ، وأوجاريت ، رأس شمرا وتل العمارنة)وفي نصوص رأس شمرا وأوجاريت وردت :
URU Hal - bi LU. SA. GA :

وتترجم : رجـال الغزو ـ العصابات (!) في مدينــة(ريف) حلب .

ERIN. GAZصيغة أخرى في نصوص تل العمارنة ، وتعني الجنودالاشــداء .

٢ ـ تكتب بالاشارات الرمزية السومرية كمــا يلي :

= LU (بالسومرية)= amilu/awilu انسان امرؤ ، رجل (بالاكادية

= SA = ser ' anu , gidu (عضــل) , riksu طرف العضلة

= GAZ = daku دك (ذات الفعــل بالعربية) ، masdu سحق

= (lu) SA. GAZ = habbatu تقابل‌الفعل العربي خبط

خبط ، ضربه بشدة . واذا أردنا اشتقاق الاسم‌المقابل للاســم الاكادي فهــو خباط أي الخباطـون habbatuوالمعنى المرادف بالاكادية هــو hapirûوهو الذي استخدم في معظم النصوص وترجم بمعنى الفزاة أو النهابين . ولكن نجد في قاموس ، لابات :

R. Labat, **Manuel d' épigraphie akkadienne,** Paris 1976, No 104
lu sa - GAZ = habbatu = pillard = غـزاة ; hapiru = nomades = بدو

ونلاحظ أن لابات قد اختار المعنى الاول وهـو الاقرب habbatu الخباطون ، الغـزاة . والمرادف الثاني hapiru قد ترجمه الى بدو . وبذلك ينفي أي احتمال للمطابقة بين hapiru وعبرو .. الخ .

٣ ـ تكتب بالمقطعية الاكادية بالاشورية القديمة: **a - wi - li ha - bi (4) - ri so ekallin**

والكلمة الاخيرة تعني قصر بصورة عامة، ولكن قد تعني مكان = KUR وفي ماري : جنود (البدو) الخبيرو وكذلك: **sa - bi - im ha - bi - ri** : Jamut t balaja ha - bi - ri
خبيرو (قبيلة) يموت بل / بعل .

وكذلك في بوغازكوي ، ورأس شمرا ـ أوجاريت وتل العمارنة ، ونوزي . وقد وردت في نوزي :
ha - bi - ru sa mat Assur

أي « خبيرو بلاد أشـور » .

(١٣) انظر السند (١٢) رقم ٢ .

(١٤) بوتيرو المصدر السابق .

(١٥) انظر :

R. Labat , A. Caquot, M. Sznycer, M. Vieyra, **Les Réligions du Proche - Orient asiatique,** Paris 1970 , pp. 505 - 506 .

حيث تذكر الالواح الحثية عشرات الالهـة الرافدية والحلبيـة خاصـة كشـهود على احـدى المعاهدات وتذكر من بينها آلهة habiri دون ذكر أسمائها . انظر حول المعاهدة :

G. Roux,**La Mésopotamie, Essai d' histoire politique, économique et culturelle,** Paris 1984, pp. 209 - 232 .

(١٦) انظـر :

P. Garelli, **Le Proche -Orient asiatiquedes origines aux invasion des peuples de la mer ,** Paris 1969, p. 148 . 170 .

انظر أيضا : المصدر السابق ص٢١٤و ٢٣٢ .

(١٧) انظر : CAHI/I حيث يقول : لقد قيل الكثير حول معنى الكلمة وجهد الكثيرون الى تصنيفه عرفيا ولغويا دون نتيجة واضحة .

(١٨) او . لورتيس المصدر السابق ص١٩١ . حيث ينقل عن لاندسبرغر قوله « ان تعريف ابريوم ملك ابلا يعابر التوراتي ليس الا شبحا جناسيا ».

(١٩) من أجل عرض تاريخي شامل، يمكن العودة الى G. Roux يضاف الى ذلك كل من ، P. Garelli (انظر أعلاه) G. Roux. ، ومن أجل تفاصيل أدق ، حول البدول وتحركاتهم في سورية والعـراق والنصوص الاكادية المتعلقة بالموضوع فلا بد من الرجوع الى المصادر التالية :

— J. R. Kupper, **Les Nomades en Mésopotamie au temps des rois de mari,** Paris 1957 .
— J. T. Luke, **pastoralism and politicsin the Mari period ,** Mechigan 1965.
— Horst, Klengel, **Zwischen Zelt und Palast,** Leipzig - Wien 1972 .

— « Mésopotamian und seine nachbarn, Poblische und Kulturelle Wechs-elbeziehungen im Alten vorderasien von, bis 1. Jahrtausend v. chr. xxv (**RAI**) , Berlin 1978 .

وهو المؤتمر الدولي الخامس والعشرون للاشورريات ، وهو مجموعة أبحاث ودراسات حول التبـادل في العلاقات السياسية والثقافية بين بلاد الرافدين البلدان المجاورة منذ الالف الرابعة حتى الالف الاولى ق.م .

